

الرتاء في شعر آدم عبد الله الإلوري

بقلوب عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم

مقدمة

الرتاء غرض من أغراض الشعر العربي، فهو تعداد مناقب الميت والتفجع عليه، وله خصائص تعارف القاد له منها: بكاء الميت وإظهار الوعة على فقده، والإشادة بفضائل الميت الثبية ومناقبه، والحذر من الجمع بين الرثاء وأي أمر يفهم منه ما يدل على فرح، وتحمير الألفاظ الموجهة المقجعة القادرة على أن توحى بالحزن والألم على فقد المرثي^(١). فالرتاء إذن لا يتعاطاه إلا من له عاطفة صادقة وشعور حساس وتمكن في أسرار اللغة العربية.

فالشيخ آدم عبد الله الإلوري أحد علماء هذه البلاد "نيجيريا" وشعراءها الأفاضل الذين عاشوا غمار الرثاء وآتوا منه بنسب لا يستهان به في الأدب العربي الذي أنتجه الأدباء النيجيريون. والذي يهتما في هذا البحث دراسة الرثاء في شعر الشيخ آدم عبد الله الإلوري لتقف على سعة أفقه ومهارته في الشعر العربي من ناحية، ولتقف من ناحية أخرى على قيمة الإنتاجات الأدبية لدى بعض العلماء النيجيريين، الإنتاجات التي لا يزال معظمها مغمورا.

ولتحقيق الغرض المنشود قسمنا البحث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول تناول ترجمة حياة الشيخ الإلوري وأعماله وكان القسم الثاني عبارة عن نقاش قصديته الرثائيتين وبسحتوي القسم الثالث على الخاتمة والمواشم.

١- ترجمة حياة الشيخ آدم عبد الله الإلوري

أ- حياته وثقافته:

ولد الشيخ الإلوري في عام ١٩١٧م بقرية واسا بالقرب من زوغو عاصمة بلاد دندي الواقعة بدهومي سابقا، وبنين حاليا^(٢)، وأبوه عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله من موالد مدينة إورن نيجيريا، وأمه السيدة عائشة بنت ملك وأسا القدم.

قرأ القرآن على والده ومبادئ العلوم العربية الإسلامية وتلمذ للشيخ صالح بن محمد الأول المشهور بأبسن نيوبوا نزيل إبادن وللشيخ عمر الأجهوى الإلورى نزيل ليغوس وللشيخ موسى الأسمين السوري ثم للشيخ آدم نعمحي الكنوى^(٣).

وبعد وفاة الشيخ نعمحي في سنة ١٩٤٤م ارتحل الشيخ الإلورى إلى مصر العربية للتقييف عام ١٩٤٦م وقضى ستة أشهر فقط في الأزهر الشريف، يحفظ خلالها أساليب المدرسة النظامية الحديثة والأحوال الإدارية قبل انتقاله إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج واجتمع بعلماء الحرم الذين تعجبوا بفرارة علمه وأدبه حتى نشر حموه في الجرائد الحجازية^(٤).

رجع الشيخ الإلورى إلى نيجيريا بعد هذه الرحلات العلمية في عام ١٩٤٧م فقام بمسامرة حبارة في خدمة الإسلام ولغته العربية في هذه البلاد وما جاورها، بل في العالم الإسلامي قاطبة.

ب- أعماله ومساهماته:

تشتمل مساهمات الشيخ الإلورى في خدمة العلم والإسلام والعربية والوطن على ما يلي:

١- توحيد صفوف المسلمين في نيجيريا، ومن نتيجة ذلك إنشاء رابطة الأئمة والعلماء ببلاد نيجيريا في سنة ١٩٦٢م، ومقرها الرئيسي في إبادن، وكان سكرتيراً عاماً لها حتى وقت وفاته رحمه الله.

٢- الاشتراك في المؤتمرات الإسلامية والأدبية داخل البلاد وخارجها مثل الندوة الدراسية التي عقدت في جامعة إبادن ١٩٦٥م والمؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس للبحث حول قضية فلسطين، وذلك في سنة ١٩٦١م. وغيرهما.

٣- تأسيس مركز التعليم العربي الإسلامي الذي أنجب العاقرة الفصحاء والجهابذة البلغاء وفحول الشعراء وخطباء المنابر والكتاب النحارير المفكرين من أبناء هذه البلاد وما جاورها، متشربين في شتى ميادين العلم والحياة. وكان الشيخ مدير هذا المركز وإمام مسجده، وخطيب منبره، ومفسر القرآن الكريم في حمار رمضان، والمرشد الواعظ الخليل في لياليه منذ تأسيسه في سنة ١٩٥٢م إلى وقت التحاقه بالرفيق الأعلى، تغمده الله برحمته. وما زال المركز بعد وفاته، ينتج كل عام مئات من الغيورين على اللغة العربية والدراسات الإسلامية وعشاقهما حتى اليوم ودام نشر الدعوة الإسلامية فيها مستمراً على يد أتباعه البررة.

٤- تأليف الكتب القيمة التي تفوق خمسة وسبعين كتابا من المطبوعات المنشرات والمقررات المخطوطات، مثل الصوم والفطر في الفقه وتاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم في الدعوة وما لا يلام عليه علماء نيجيريا في التصوف والإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي في التاريخ والإسلام اليوم وغدا في نيجيريا في الاجتماعيات وفلسفة النبوة والأنبياء في الفلسفة ومصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيريا في الأدب، وفي التربية: نظام التعليم في العالم وفي السياسة: حقوق الإنسان بين أديان السماء وقوانين الزمن وهلم جرى.

ج- وفاته

بعد ما قام الشيخ الإلوري بالمساهمات المذكورة أعلاه، واطمأن قلبه على أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، بدأ يودّع الدنيا وما فيها في مجالس وعظه وتفسير القرآن، فارتحل إلى لندن للتفتيش الصحي وهناك وافته المنية يوم الأحد الموافق اليوم الثالث من شهر مايو عام ١٩٩٢م، نغمده الله برحمته^(٤).

٢- نظرة عامة في شعره

أ- الأغراض التي طرفها: قرص الشيخ الإلوري أشعارا كثيرة في شتى الأغراض ولكن قصائده التي عثرنا عليها أقل مما ضاع كما أخبر الشيخ نفسه أساتذة المركز عند محاولتهم جمع أشعار قصائده في كتاب واحد قال لهم: "إن ما ضاع من القصائد أكثر مما عثرتم عليه"^(٥). فبدراسة قصائده التي عثرنا عليها، وجدنا أن الأغراض التي طرفها مبنوية على ما يلي:

الزهد والحزن والوصف والمدح والشعر الاجتماعي والشعر التعلّيمي والشكر والتأمل والمناجات والاستغاثة والتوسل والوصية والحماسة.

- ١- أما الزهد: فأول قصيدة جادت بها قريحة الشيخ كانت فيه وهي أربعة عشر بيتا ومطلعها:
نعميك في الدنيا نعم محمد ** وعيشك فيها عيش ما سيفقد
إذا كنت في الدنيا تروح وتغدي ** وتسعى بأشتات المنى تتجدد^(٦)
- ٢- الحنين: قصيدة قرضاها في مصر أثناء رحلته العلمية إلى بلاد العربان، تبلغ القصيدة واحد وثلاثين بيتا وهي بالية الروي ومطلعها:
أبا ذاهبا أرض نيجيريا أبلغن ** سلامي إلى أهل بها متراضا

- وقل لهم أني أعسود إليهم ** إذا عسعن الليل ترى الصبح آتيا^(٨)
- ٣- الوصف: في نفس القصيدة وصف الشيخ رحلته وصفا دقيقا ففيها يقول:
ركبنا قطارا مثل فردوس في المساء ** وراحنا بين لاغوس وزاريا
وكم لينة قد يتها نايغية ** أسامر أفلاك السماء الصواغيا
- ٤- المدح: ففي المدح قصيدة مدح بها أمير إلورن ذا القرنين العميري بمناسبة أول زيارته للمركب
عام ١٩٦٢م وهي تسعة أبيات ومطلعها:
بكل لساني بل بكل جوارحي ** أقول لكم أهلا وسهلا ومرحبا
أمولاي ذا القرنين يا بن محمد ** أمير إلورن طبت أصلا ومنصبا^(٩)
- ٥- الشعر الاجتماعي: وللشيخ قصيدة ذات تسعة عشر بيتا ومطلعها:
وبح قومي جهلوا معنى الحيا ** وأساءوا فيه حتما وابتدا
هكذا فد جهلوا التواضعا ** وبنوه في سحود وانحاء^(١٠)
- ٦- الشكر والتأمل: للشيخ قصيدة قالها لهذا الغرض عرفانا بالجميل للمولى الوهاب الذي فضله
بالعلم والعمل. وهي عشرة أبيات بهذا مطلع:
لقد حال فكري إلى أصل أمري ** فما أب إلا بأمر عجيب
فلا ينبغي لي سوى حمد ربي ** على نعم فوق حصر الأرب^(١١)
- ٧- الوصية: النصيحة: عثرنا على هذه النطفة منها:
عليك بالتقوى إذا قدم عن ** دين ودنيا كي تفوز وتنفع
لا يفوتك نعيم دار لم يدم ** أبدا ولكن عن قريب يقطع^(١٢).
- فن ابتغي محدا. من الإنسان لم ** يريح لسدي الله ولا يستمتع
- ٨- الحماسة: قصيدة أصبحت نشيدة أيام حفلة الشهادة بالمركز أغعني ومنها:
إيه يا أبطال عكس الـ ** دين قد حان النضال
إذهبوا في الأرض كالأشبا ** ل وامنضوا لا تبالوا^(١٣)

- ٩- المناجات: هي القصائد التي تنأحي الشيخ الإلوري به ربه فمنها:
- يا من يرأسني ولا أراه** وهو يسحب السضطرين
يا خالق الأرض والسماء** يا رازق الطير والخين^(١١)
- ١٠- الاستغاثة: له قصيدة سماها "هل أجبروك" وهي خمسة عشر بيتا ومطلعها:
- يا رب قد ضقت ذرعا بالمسوم وقد** رجوت فضلك أصلا ثم لم أزل
أرجوك والحال لا تخفي عليك علي** ما كان لي من حياة اليأس والعطل^(١٢)
- ١١- التوسل: وله قصيدة تحتوي على تسعة عشر بيتا هذا المطلع:
- سألتك يا من لا تعطى عرشه قدم** وبما موجود الأشياء الوجود من العدم
بأسماك الحسن جميعا وكسل ما** على صفحات اللوح سطر بالقلم^(١٣)
- ١٢- الشعر التعليمي: للشيخ كتاب أنه بنوع هذا الشعر واسم الكتاب "أسرار البلاغة وأساس
الفصاحة" قام عبد الوهاب زبير الغماوي بشرحه ومطلع القصيدة:
- قال الفقير آدم اليسورساوى** السررتني العفو عن السساوى
الحمد لله الذي قلد زادنسى** علم التنون فوق من أرشدني^(١٤)
- ١٣- الوفاء: فهو موضع نقاشنا في هذا البحث نفرغ له في الفصل الثالث إن شاء الله.
بإمعان النظر إلى الساذج السابقة، نجد أن الشيخ الإلوري استخدم البحور التالية وأحسن
استخدامها:

- ١- الطويل ٢- الرمل ٣- البسيط ٤- الكامل
٥- الوافر ٦- المندرك ٧- المتقارب ٨- الرجز
٩- البحر الكرم الذي أمدعه شعراء نيجيريا وذلك فيما مطلعته:

يا كريم هب لي مع حفاء جهلي** كم رجاك منلي لم نخب رجاء^(١٥)

فإن الشيخ الإلوري لا يحد في شعره بالألفاظ الجزاة وكان فصيحاً ريفاً عذب اللفظ وسهل
التركيب ولم يكن في أية قصيدته أي نوع من التكلف. كما نلاحظ أنه لا يميل إلى المقدمة التقليدية
في شعره كالبدئ بالعزل أو النسب كما يفعله العرب القدماء واقتدى بهم بعض علماءنا القدماء في
هذه البلاد.

وكان الشيخ الإلورى كالزهير الذي يمدح الإنسان إلا بما فيه، يبدو ذلك واضحاً حين يمدح أمير إلورن وفي رثاء شيخه الذي سنذكره فيما بعد، ومن عرف هذين الشخصين المدوحين يعترف مدى صدق الشيخ فيهما والفرق بينه وبين زهير في ذلك هو أنه لا يمدح للتكسب.

وكثيراً ما تحتوي قصائد شعره على أغراض غير واحد كما كان الأمر في قصيدة الحنين التي وجدنا فيها الوصف وشأته في ذلك شأن شعراء اليوروبا باللغة العربية.

تصيح شعر الإلورى بصيغة دينية، ذلك لأن خدمة الدين الإسلامي هو هدفه الرئيسي في التبحر في العلوم وفي تعليم اللغة العربية كغيره من العلماء والأدباء في هذه المنطقة من الأرض قديماً وحديثاً. وتذوق في قصائده نوعاً من الحماسة مثلاً قال:

بكل لسان بل بكل حوارحي ** أقول لكم أهلاً وسهلاً ومرحها.

ثم أن هذه الأقوال انبثقت من انفعالات وجدانية حادة.

كما يشعر السامع لشعره بتصوير أدبي رائع حيث نجد فيه خيالاً صادقا نفهم ذلك جلياً في رثائه يقول:

أيا شيخي وأستاذي تمنعني ** هناك الله في دار السلام

بمخاطب المرحوم كأنه واقف أمامه.

ولا ننسى ما في شعره من تصورات بلاغية من حسن تشبيه كما في هذين البيتين:

ركبنا قطارا مثل فردوس في السهنا ** وراحتنا بين لاغوس وزاربا

وكم ليلة قد يستها نسا بقية ** أسامر أفلاك السماء الصوافبا.

نلاحظ أن الشيخ الإلورى تأثر بغيره من الأدباء في بعض قصائده فعلى سبيل المثال، فإنه بدأ

أرجوزته كما بدأ السبوطي في عقود الجمال حيث يقول:

قال الفقير عابد الرحمن ** الحمد لله علي البيان⁽¹⁾

وقال الشيخ الإلورى:

قال الفقير آدم البورباوى ** المرتجى العفو عن السماوى

الحمد لله الذي قد زادني ** علم القنون فوق من أرشدني

كما نجد التشبيه بين قصيدته الاجتماعية وبين قصيدة الشيخ عثمان من فودى التالية في

الغرض والبحر ومطالعها:

من عذيري من أنيأس نجمو ** أفسدوا الدين وأبدو كسل ضر
تركوا علم الكتاب المنزّل ** وحدث جا به هادي البشر^(٢٠)

وقال الشيخ الإلوري:

ويح قومي جهلوا معني الحيا ** وأسأؤ فيه غتما وابتداء
هكذا فد جهلوا التواضع ** وبنوه في السجود والتخاء

فلا يفوتنا الصواب إذا قلنا بأن الأحرر تأثر بالأول.

فكل ما سبق فضه وقضيضه يتبع عن شاعرية الشيخ الإلوري الفذة وأنه قد ساهم مساهمة لا
يستهان بها في تطور الشعر العربي خاصة، والأدب العربي بصفة عامة، في هذه الديار.

فالآن ندرس الرثاء في شعره دراسة تحليلية على قدر الاستطاع

٣- الرثاء في شعر الشيخ الإلوري

أ- نص القصيدة الأولى:

للشيخ الإلوري قصيدتان رثائيتان فيما نعلم، فالأولى منها رثي لها شيخه آدم نعمجسي
الكنوي المتوفى في سنة ١٩٤٤م، وهي تتوى على ستة عشر بيتا ونصها كما يلي:

- ١- همومي حاجها نوح الحمام ** وحرني عاق عن أكل الطعام
- ٢- فما أدري يمين عن شمالي ** على ما غر من أمر الحمام
- ٣- لموت نحاجي بأسنى عليه ** وبأ حزنني وهمي بالتزام
- ٤- لقد مات الحكيم الفيلسوف ** بكل علومه وافني المرام
- ٥- ومالي لا أنسوح ولا أرثى ** على فقد المربي للأمام
- ٦- سيكي كل أهل العلم طرا ** على فقد الطوالع كل عام
- ٧- سيكي كل من يعرفه حقا ** بهذه الأرض من كل الهمام
- ٨- أيا أعدائه قدم مات عنكم ** فحيوا لا تموتوا بالدمام
- ٩- ألما مات أنتم حالدون ** فكل النفس ذائفة الحمام
- ١٠- أبا شيخي وأستاذي نحاجي ** هناك الله في دار السلام
- ١١- فقد أخرجتني من كل جهل ** حسراك الله خيرا يا إمام

١٢- جهلت بما يتوافق الممدح مني ** سوى الدعوات تذكر بانتظام

١٣- وأنت عزيز مثل بل فريد ** من الأفراد مقتضى للكرام

١٤- طويل كامل هادي البرايا ** كثير الخير مصباح الظلام

١٥- مليح الوجه والمشي السهويننا ** بريق السن عند الابتسام

١٦- نقي القلب ذو رأي سديد ** سحي الكف معتدل القيام.

ب- تحليل النص ونقده:

١- المناسبة التي قيل فيها النص

كانت هذه القصيدة مقروضة لمناسبة وفاة الشيخ آدم نعمحي الكوي أستاذ الشاعر القديم المتوفى في سنة ١٩٤٤م في طريقه إلى الحج، وكان موته حسارة للإسلام ومسلمي هذه البلاد لأنه من أعلام هذه المنطقة.

٢- الغرض الذي قيل فيه النص:

هذه القصيدة رثاء للشيخ نعمحي من تلميذه إظهار الحزنه وتفجعه علي فقد أستاذه لأنه تأثر به بكثير من بين أساتذته الكرام واليه ألقى عصا ترحاله في التعليم، في هذه البلاد، قبل رحلته إلى بلاد العربان للتثقيف، ومن جانب إظهار التفجع مدح شبحه، كمعادة شعراء ما بعد العصر الجاهلي. وموافقاً لخصائص فن الرثاء.

٣- الفكرة العامة والجزئية في النص:

أما الفكر العامة الموجودة في القصيدة فهي الإشادة بالفقيد وهو يظل من أبطال الإسلام، وعزيز على الشاعر والدعاء له. ونستطيع شمل الأفكار الجزئية فيها على ما يلي:

- أ- تصوير مدى ألم فقدان المرحوم في نفس الشاعر، وذلك في البيت الأول إلى البيت الثالث.
- ب- بيان ما تحسره العالم بموت المرحوم من الحكمة والعلوم العزيرة، وأنهم سيأسفون عليه في المستقبل. وذلك من البيت الرابع إلى السابع.
- ج- وفي البيت الثامن والتاسع تذكير أعداء المفقود بأنهم بكأسه شاربون وبسييله سائقون وأن الموت باب وكل نفس داخله.
- د- مناجاة المرحوم ودعاء له في البيت العاشر.

هـ - مدح المتوفى وذلك من البيت الحادي عشر إلى السادس عشر الأخير.

٤ - ضبط بعض ألفاظ القصيدة لتصح قراءة فيستقيم فهمه:

فكلمة "غار" لها معاني مختلفة قد يكون حفا مثل غار الماء أي ذهب من الأرض، وقد يكون دقق النظر في الشيء نحو: غار في الأمر أي دقق النظر فيه وقد يكون غياب الشيء مثل: غارت الشمس أي غرب فالذي تعني الكلمة في صدر البيت الثاني هو ما حدث من أمر المنايا وكلمة "المسام" بتشديد الميم الأول يعني ذا عزم أي من إذا هم بشيء أمضاء "والمسام" بغير التشديد وضم الهاء يعني ما ذاب من الثلج أو الشحم ويعني الملك العظيم المهمة والسيد الشجاع السخي وهو المعنى المراد في البيت السابع^(١١).

٥ - تفسير بعض الكلمات تفسيراً مستمداً من السياق:

في البيت الأول "همومي حاجها نوح الحمام" يعني أن موت الشيخ نمحي أثر في نفسه ألم، وأن الحزن صرفه من أكل الطعام؛ "وبريق السن" في البيت الخامس عشر يعني أنه ذو بشاشة.

٦ - العاطفة التي عبر عنها النص:

فالقصيد صرخة حزينة تعلن فرح صاحبها اللهيبي وهو في تصوير عواطفه كالمخاطب المنفعل يتحدث بسهولة لا تعرف التمنيقي، والاتقاد، بل يرسل عواطفه الحزينة في تدفق، لذلك يكرر بعض المعاني ويعيد بعض الصور، لأنه يريد أن يؤثر بما يملك من بيان.

٧ - الأخيلة التي صورت هذه العاطفة:

قد استعان الشاعر بخياله فبده بصورة قوية في تصوير عاطفته فمن هذا التصوير الرائع قوله:

همومي حاجها نوح الحمام** وحزني عاق عن أكل الطعام

فتلك صورة بصرية صور بها الشاعر ما هو معنوي وهو الهم والحزن في صورة مادية تدرك بالبصر وهي الهيج والعق عن الطعام.

٨ - الموسيقى في النص

أ - الموسيقى الخارجية من وزن وقافية:

الوزن من الوافر وهو ذو ست تفعيلات

مفاعلتين مفاعلتين فعولن ** مفاعلتان مفاعلتان فعولن

فإنه قد أحسن اختيار الوزن لأنه جاء ملائماً لتصوير الحال الحزينة فنغمته تؤثر في النفوس ألم المصيبة. كما أحسن اختيار القافية بحيث إذا تلفظت بها يكون كأنك مرزأة تكلي ترن وتقول مثل "طعام"، "حمام"، "حمام".

وإضافة إلى ذلك فإن بعض النقاد يرون أن بعض الأحرف في القوافي أُنجم من بعض كحرف ميم في تصوير الحزن. وإن سكنت وتستمع إلى أصوات كثرة استعمال حرف الياء يكون كأنك تقول، وبدل ذلك كله على أن الشاعر موفق في اختيار الألفاظ والحروف لا يفتق النعمة الموسيقية الملائمة للغرض.

ب- الموسيقى الداخلية:

نشعر بذلك في ترديد بعض الكلمات مثل: "حزني" و"سيبكي" وفي استعمال بعض المحسنات البديعية وذلك في البيت الثاني مثلاً وجدنا الطباق الإحادي في قوله: "فما أدرني بمجن من شمالي" كما في البيت الثامن الطباق السلسلي في قوله: "فحيوا لا يموتوا بالدوام". وكما اقتبسنا القرآن في البيت التاسع ليستعير من قوته قوة في معاني شعره.

٩- إصدار الحكم الأدبي على النص:

أ- ناحية العروض:

القصيدة على البحر الواقع الذي أجزأه مفاعلتان ثلاث في كل شطر:

مفاعلتان مفاعلتان مفاعلتان ** مفاعلتان مفاعلتان مفاعلتان

جاء حشو جميع أبيات القصيدة مزحوفاً، إلا صدر البيت الثالث، وكانت عروضها مقطوعتة والضرب مقطوع مثلها على وزن فعولن فالقصيدة إذن جاءت على وزن:

مفاعلتان مفاعلتان فعولن ** مفاعلتان مفاعلتان فعولن

وقافيتها مرددة ولم يكن فيها أي عيب من عيوب القافية ولا ضرورة من ضرورات الشعر.

ب- ناحية الألفاظ:

ومن حيث ألفاظ النص وعبارته: جاءت أغلب الألفاظ والعبارة واضحة موجزة فسادرة على نقل الفكر والعاطفة.

واستعماله حرف النداء للفریب "أیا" لمنادیه البعید "الشیخ نعمجی" المتوفی بعنی أنه حاضر فی ذهنه وقریب فی قلبه كما كان "یا أسفی علیه" إظهاراً للتخسر.

ج- ناحية المعاني:

فی هذه القصيدة قوة بلاغية من تشبيه بلیغ كما نلاحظ ذلك فی البيت الرابع عشر حيث شبه مرثیه بمصباح الفلام من غیر ذكر الأدوات ووجه التشبه، كما وحدنا فیها الخاز العقلي فی البيت الأول فی قوله: "هو می هاجها نوح الحمام" وكان نوح الحمام هو الذي یهیج له البكاء وليس موت شیخه وفی الحقيقة نوح الحمام كان سبباً لمعرفة موت شخص وجعله مكان العلة الحقيقية.

وكذلك تمتع القصيدة بالاستعارة المكنية حيث جعل فی البيت الأول نوح الحمام والحزن كإنسان یهیج البكاء ویصرف الإنسان من الطعام.

كما تزين القصيدة بالكتابات وذلك فی البنین الآخرين "مليح الوجه" و"بريق السن" بمعنی أنه ذو البشاشة "المشي الهو" یعنی أنه وقور و"نقي القلب" أنه رجل صالح ذو خلق نبیل. و"ذو رأي سديد" معنی أنه حكيم و"وسحي الكف" نوحی (لینا أنه یجود كثيراً) و"معتدل القیام" عبارة عن عدله وصبحة بدنه

د- ناحية الفكرة:

استطاع الشاعر أن یعمق فی أفكاره عن الشیخ نعمجی، نلاحظ ذلك فی قوله:

لقد مات الحكيم الفيلسوف * بکل علومه وان المرام

حيث كان سبب إظهار التخسر علیه ذهابه بالعلوم الغزيرة النافعة. ومن حيث الخيال نصح فی تصويره الحزن الذي تمتع عن الطعام والهجم الذي يجعل الإنسان متحيراً.

هـ- قضية ترابط الأفكار وتسلسلها أو تفككها وتعارضها:

إننا نرى فی هذه القصيدة أن بعض أفكارها مترابطة ويجب فی بعضها تقدم وتأخير. على سبيل المثال، فأفكار البيت الأول إلى الثالث مترابطة والبيت الثامن والتاسع متسقان والأبيات الخمسة الأخيرة منسجمة.

أما البيت الخامس والسادس نرى تقدم الأول على الأخير أولي لتسجم مع ما قبلهما وما بعدهما فيكون:

ومالي لا أنوح ولا أرني ** على فقد المرئي للأتام
 عذرا أو تبريرا للنوح والحزن، ثم يأتي بعده:
 لقد مات الحكيم الفيلسوف ** بكل علومه وافي المرام.
 ليحزن الناس في المستقبل إذا انتهوا وعرفوا ما فقدوه
 وكذلك رأينا أنه من الجدير أن تأتي الآيات الأربعة الأخيرة مباشرة بعد البيت العاشر ثم يأتي
 بعدهما البيت الثاني عشر ونظم بالبيت الحادي عشر.
 فقد أخرجتني من كل جهل ** حراك الله خيرا يا إمام
 ليكون الختام مسكنا.

د- نص القصيدة الثانية:

- ١- الدهر سدد سهمه وزمانني ** فأصابني في أشرف الأركان
- ٢- فأصابني في مهجتي وحنان ** فسرى انتعاش السم في شريان
- ٣- فتورد الأصحاب مع تريباقهم ** من ها وهنا بغير توان
- ٤- لكنما التريباق لم يفع معي ** بل زاد منه السم في الطغيان
- ٥- فالسهم رزىء والمسموم سمومه ** والصبر تريباق على الأحران
- ٦- تلك الرزية في خديجة إبنتي ** كانت معي كالروح والريحان
- ٧- عاشت معي سبعيا من السنين في ** زهراتها كشقاق النعمان
- ٨- فإذا بستني قد تسودت الشري ** والحلم منها مد للديان
- ٩- قد كنت أحسب أنني عند البلا ** تب الجنان وصاحب الإيمان
- ١٠- حين بليت سموت بستني هذه ** فتعطل الأحساس من وجداني
- ١١- فوجدت دمعا ساجحا من محجري ** هل في البكاء النفع للشكلان
- ١٢- يا عين لا تبكي على حكم القضا ** فجميعا في قبضة الرحمان
- ١٣- والناس مختلفون في ويلاتهم ** والكَل يشكو من أذى الأزمان
- ١٤- لم انتظر في الدهر بعد مسرة ** إلا على عطف من الحنان
- ١٥- فالعيش هم والسمون بمرصد ** وجميع أعمالني على السيزان
- ١٦- والله مطلع على الأسرار لا ** تخفي عليه كوامن الأكوان

- ١١- يا أرحم الغيات في أعشاشه ** أرحم بكائي يا عظيم الشأن
- ٢- تحليل النص وتقدمه:
- ١- المناسبة التي قيل النص:
- نسجت هذه القصيدة لمناسبة موت بنت الشيخ الإلوري المسماة بخديجة في عام ١٩٥٥م وكانت فلذة كبده ونفس راحته.
- ٢- الغرض الذي قيل فيه النص:
- كانت القصيدة رثاء للبت الفقيدة وتأيينا لها، ولم يكن في القصيدة عرض آخر سوى الرثاء.
- ٣- الفكرة العامة في النص والأفكار الجزئية الموضحة لها:
- الفكرة العامة في القصيدة هي تغريد بتفجع وإظهار البلاء الشديد في فقد البنت المحبوبة والفكرة الجزئية فيها تنطوي على ما يلي:
- أ- تصوير منا الحزن على الفقيدة وذلك في الآيات من البيت الأول إلى الخامس.
- ب- ذكر مكانة المرحومة في نفس الشاعر والمعاملة الوثيقة بينهما مع التحابب المتين في مدة سبع سنوات وذلك من البيت السادس إلى الثامن.
- ج- محاسة النفس على حمل المصيبة وعدم استطاع الصبر عليها وتصوير البكاء على المتوفاة بعد ذلك في البيت التاسع إلى الحادي عشر.
- د- تعزية النفس وتخفيف بلاها من البيت الثاني عشر إلى الرابع عشر.
- هـ- ففي البيت الخامس عشر والسادس عشر ذكر شيء من فلسفة الحياة والموت والوعظ
- و- وجاء الدعاء في البيت السابع عشر الأخير.
- ١- ضبط بعض ألفاظ النص لتصح قراءته فيستقيم فهمه:
- فكلمة "سري" لها معاني مختلفة وهي تعني أن يسر الإنسان ليلاً وتعني أيضاً جريسان نحو: سري الدم في العروق سري أيضاً تأثر شيء في شيء عن طريق سلبى حتى يهلك مثل سري الجرح إلى النفس. فاستعمل "سري" هنا المعنى الثالث يعني جريان السم في القلب وكذلك كلمة "الزهرة" يفتح الزاي يعني الوطر والزهرة وبالضم: الحسن والرونق والبياض الجميل وهو المراد هنا.

وأيضاً كلمة "الحنان" بكسر الجيم فهي جمع حنة أي الخديفة ذات الأشجار. والحنان بضم الجيم يعني الترس والحنان بفتح الجيم القلب فهو المراد في القصيدة.
وكلمة "الوجدان" بضم الواو جمع للوحيد ما التوي من الأرض والوجدان بكسر الواو هو النفس وقواها الباطنة وهو المراد في النص.^(١٦)

٦- العاطفة التي عبر عنها النص:

فهذه القصيدة زفرة حارة صعدت من صدر مكبوم حريح تعني أن شعور التخسير وعاطفته هو الذي أوحى إلى الشاعر قول القصيدة وهي كما تراها منبتقة من العواطف الصادقة يعبر عنها الشاعر دون افتعال بل يجيش معانيها في صدره فيقلها إلى الناس كما تحدثم وتجيش.

٧- الأخلية التي صورت هذه العاطفة:

إذا كانت الخيال نافذة العاطفة فإنه في هذه القصيدة قد عبر عن العاطفة أصدق تعبير، لأن الشاعر قد استعان بالصورة الأدبية الرائعة التي تصور حقيقة إحساسه، فالدهر إنسان قوم السهم ورماه إلى قلب الشاعر وكانت استه قد توسدت الثرى، وأما كانت معه كالروح والريحان. ومن هذا الخيال ما هو مؤلف أي يؤلف بين مناظر مختلفة في نمط متناسق كما ترى في الأبيات الأول إلى السادس.

٨- الموسيقى في النص:

استعمل الشاعر البحر الكامل في نسج هذه القصيدة وهو من البحور الملائمة لحال الخزيين وكل من استمع إلى نغماته لا يد من أن يشعر بالأسف، ويعني ذلك أن الشاعر قد أحسن الاختيار للبحر.

وقد جاء الشاعر في القصيدة بترتيب الألفاظ في تركيب ملامح وكان بينها التنسيق التي تعطى إيقاعاً موسيقياً، يجرس في الأذان ويثير العواطف ويهيج النفوس فعلي سبيل المثال لنستمع إلى قول:

فأصابني في مهجتي وجناتي ** فسرى اتعاش السم في شرباني

كما وعي في الألفاظ بعض التقارب والتجانس وهي رائعة في الصياغة فيخرج منها إيقاع

موسيقى يخفف على الأذن ويملو في النفوس مثل:

عاشت معي سبعة من السنوات في ** زهراتها كشقائق النعمان

٩- إصدار الحكم الأدبي على النص:

أ- قضية العروض:

استخدم الشاعر البحر الكامل في نظم القصيدة وأجزاء تفعيلته متفاعلاً ثلاث مرات في كسل شطر فيكون:

متفاعلاً متفاعلاً متفاعلاً ** متفاعلاً متفاعلاً متفاعلاً

دخل زحاف إلى كثير من تفعيلات جميع حشو القصيدة وكانت عروض القصيدة تامة صحيحة وزمها متفاعلاً إلا أننا وجدنا في الأبيات ما كان عروضه مضمورة مثل البيت الثالث والرابع والتي كانت مقطوعة وزمها فعلاً كما في البيت الأول والثاني وجاء ضربها مقطوعاً مضمرًا على وزن مفعولن وقافيتها مردوفة لم نجد فيها أي عيب من عيوب الفافية.

ب- قضية الألفاظ:

فالشاعر سهل واضح في رثائه لأن الرثاء يتطلب الألفاظ السهلة الرقيقة وكان صادقاً مؤثراً غير متكلف، لأن صدق الشعور بصرف عن المبالغة المؤثرة، كانت القصيدة حافلة بالاستعارة بأنواعها. وجدنا الطباق الإيجابي في البيت السابع عشر "العيش والموت"، كما نادى الله القريب بما لعلو مرتبته.

ج- قضية المعاني:

تجلى في القصيدة شعور عميق بالأسف، يدل على مزج عاطفي حساس وقد اعتمد الشاعر في تصوير ذلك على الأساليب البلاغية المؤثرة، كانت القصيدة حافلة بالاستعارة بأنواعها. وجدنا الاستعارة التمثيلية في البيت الأول حيث أشبه الدهر برجل يرمي السهم وفي البيت الثالث عشر استعارة مكية حيث جعل الفواد إنساناً منادياً ومناجياً، وفي البيت الخامس تشبيه بليغ حيث يقول:

فالسهم رزى والمموم سمومه ** وما الصر ترياقي على الأحران

شبه السهم بالرزى والمموم بالسموم والصر بالترياق من غير ذكر الأدوات ولا وجه شبهه، كما في البيت السادس والسابع تشبيه مزسل وذلك قوله: "كانت معي كالروح والريحان" و "زهراتها كشقائق النعمان".

والقصيدة أيضا غنية بالكنايات كما في البيت الثامن حيث قال:

وإذا بينن قد توسدت الثرى ** والجسم منها مد للدهدان

كناية لموتها.

وفي البيت الحادي عشر مجاز عقلي لا سناهه عدم الثبات على المصيبة إلى الصبر الذي كان سببا لثبوت الرجل على المصيبة.

د- قضية الإبتكار أو التقليد في النص:

فإن كان الشاعر- كغيره من علماء هذه المنطقة - قلد العرب في أسلوب قرص رثاء فإنه قد ابتكر المعاني والخيالات المستخدمة في تصوير عواطفه فلنستمع إليه حيث يقول:

الموت سدد سهمه ورماني ** فأصابني في أشرف الأركان

فأصابني في مهجتي وجناتي ** فسرى اتعاش السم في شريان

وكان الشاعر راعيا عنصر الصدق في عملية فنه فلنمعن النظر إلى قوله:

قد كنت أحسب أنني عند البلا ** ثبت الجنان وصاحب الإيمان

ومن يعرف الشاعر ومكانته بين قومه يعرف أنه راعى الصدق في هذا القول، فالقصيدة إذن مثال للصدق الحي والانفعال الحزين.

هـ- قضية ترابط الأفكار وتسلسلها أو تفككها وتعاضلها:

في هذه القصيدة بدت الأفكار مترابطة سلسلة يفضي بعضها إلى بعض، بدأ بتصوير حاله الحزين باستعمال الكناية والتورية ثم شرع يبين ما يقصد بهذه التوريات وكان البيت السادس نقطة التنسيق بين الخيال والحقيقة.

٤- الخاتمة

تظهر فيما سبق من دراسة الرثاء في شعر الشيخ الإلوري أن الشاعر أحسن اختيار الألفاظ والبحر والقافية المناسبة للغرض، وراعى فيه القواعد النحوية والصرفية، كما استعان بأخيلة رائعة وقوة بلاغية حدة في تصوير عاطفته الصادقة فهنا يدل دلالة واضحة على أن الشاعر له باع طويل في نسج الشعر العربي الجيد.

ونحن ندعو إلى الإقبال إلى دراسة أعمال علمائنا المحليين أمثال الشيخ الإنوري لكشف اللثام
 عن إنتاجهم الأدبية الثمينة ليستفيد منها المتعلمون والعلماء على السواء وتكون مصدرا صالحا
 للباحثين لا في هذه المنطقة من الأرض فحسب بل في العالم العربي الإسلامي قاطبة.

- ١- ...
- ٢- ...
- ٣- ...
- ٤- ...
- ٥- ...
- ٦- ...
- ٧- ...
- ٨- ...
- ٩- ...
- ١٠- ...
- ١١- ...
- ١٢- ...
- ١٣- ...
- ١٤- ...
- ١٥- ...
- ١٦- ...
- ١٧- ...
- ١٨- ...
- ١٩- ...
- ٢٠- ...

الهوامش

- ١- علي عبد الحليم محمود:
النصر من الأديرة تحليلها ونقدها، الطبعة الثانية، حركة
مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م
ص ٢٦.
- ٢- آدم عبد الله الألوذي:
مخارج اللوزي في مشاهير علماء الورن من ١٢٠٠ إلى
١٤٠٠هـ المرفق ١٨٠٠م المطبعة النموذجية بالقاهرة، ١٩٨٢م
ص ٧٧.
- ٣- آدم عبد الله الألوذي:
من هنا نشأت، وهكذا تعلمت حتى تخرجت: الطبعة الألوذي
للمطبعة الثقافية الإسلامية أبيي لآخرس، ١٩٩١م.
- ٤- يوسف جمعة:
"الشيخ آدم عبد الله الألوذي ومساهماته في (IARS) مجلة تصدرها
قسم الأديان، جامعة الورن العدد ١١٣٣ ص ٤١
- ٥- المرجع نفسه
- ٦- هيئة التدريس بالمركز أبيي:
لقطات من قصائد الألوذي، مطبعة الثقافة الإسلامية أبيي،
لآخرس ص ٢.
- ٧- المرجع السابق نفسه
- ٨- زكرياء جمعة أو كلال:
"الشيخ آدم عبد الله الألوذي ومساهماته في الدراسات الإسلامية
العربية في نيجيريا"، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بجامعة
ميتو غوري، قسم الدراسات العربية والإسلامية، ١٩٩٨-١٩٩٠
ص ٢٠٨.
- ٩- هيئة التدريس بالمركز أبيي:
لراجع السابق نفسه ص ١٥.
- ١٠- المرجع السابق نفسه
- ١١- المرجع السابق نفسه
- ١٢- شعيب نقاري:
لراجع السابق نفسه ص ١٤.
- ١٣- هيئة التدريس بالمركز أبيي:
من هنا نشأت المرجع السابق ص ١٧.
- ١٤- آدم عبد الله الألوذي:
اللغة العربية بين أكثر عام.
- ١٥- عبد الرشيد عبد الله:
مخطوطة أعادتها من
- ١٦- عبد الرحمن عبد العزيز الزكريوي:
مخطوطة أعادتها من

- ١٧- آدم عبد الله: أسرار البلاغة وأساس النصاحة، الطبعة الأولى، مطبعة الثقافة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٠ ص ١.
- ١٨- هيئة التدريس بالمركز أعني المرجع السابق نفسه ص ١٧.
- ١٩- علي أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا ١٧٥٠ - ١٩٦٠، الطبعة الأولى، ١٩٧٦ م.
- ٢٠- أحمد بللو: اتفاق المسور في تاريخ بلاد تكرر. يطلب عند الحاج طن أعني طابير برو (عمر مؤرخ) ص ٢٦.
- ٢١- آدم عبد الله الإلوري: لباب الأدب القسم الشعر من الطبعة الثانية، مطبعة الثقافة الإسلامية أعني لاغوس ١٩٨٩ م ص ١٧-١٨.
- ٢٢- المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة السابعة والعشرون دار المشرق ١٩٩٨.